قد حققت انجازات على هذا الطريق، تشجعها على الاستمرار فيه، حتى لو كانت الوسيلة ما بشّر به مئير كهانا من حل الابادة الجسدية للفلسطينيين، إن لم يستجيبوا لأشد خياراته رحمة، أي الرحيل عن «أرض ـ اسرائيل الكاملة»، وهو ما يجد استجابة لدى قيادات اسرائيلية عدّة، مؤثرة، تتداول الترحيل («الترانسفير»)، سراً وعلانية، حلاً مثالياً، لو توفرت ظروف ملائمة لتنفيذه. ولا ننسى ما تلقاه نظرة رافائيل ايتان إلى الفلسطينيين «صراصير في زجاجة» من قبول لدى قطاعات وشرائح إسرائيلية واسعة، ليس اسحق شامير ببعيد منها، وهو الذي وصف الفلسطينيين، في مطلع نيسان (ابريل) ١٩٨٨، بأنهم «جراد سوف تسحقه اسرائيل». فأمثال هؤلاء ممّن لا يتورّعون عن نزع الصفة الانسانية عن الفلسطينيين ينسجمون مع نظرتهم، والنظرة المتوالية الاسرائيلية السائدة تجاه العرب. وإذا كان شارون أكثر تحديداً، ووضوحاً، وتمسكاً بحل إقامة الدولة الفلسطينية في شرق نهر الاردن، مبرراً ذلك بكون غالبية سكان الاردن فلسطينية، دون أن يخفي أن في ذهنه ليس فقط تعبير الفلسطينيين عن شخصيتهم في دولتهم التي تحل محل النظام الملكي في الأردن بما ينهي التوترات الناجمة عن فقدانهم القدرة على تجسيد انتمائهم الوطني والمجتمعي كيانياً، وإنما، أيضاً، تنفيذ الترحيل من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة إلى الدولة الفلسطينية التي يريدها في الأردن، بحيث يتمكن من تحقيق طموحه في توسيع الاستيطان الصهيوني في هاتين المنطقتين، معرباً عن استعداده لقيادة الجيش الاسرائيلي إلى عمّان، من أجل تنفيذ هذا الحل، وفرضه، وهذا ما كرره مراراً، وكان آخره بتاريخ ١٩٩٠/١/١٦، حين صرّح بأن الأردن هو، وحده، الدولة الفلسطينية، وأن إجراء انتخابات في الضفة الفلسطينية، في إطار مناورة شامير «السلمية»، يعني الحرب، فلم تكن مفاجأة أن ينتهي شامير من مناورته الحمائمية عند النقطة التي صمد عندها شارون، فصرّح، في نهاية العام ١٩٨٩، بأن الأردن هو الدولة الفلسطينية، ثمّ مضى، على الرغم من احتجاجات مصر والأردن وعتاب الولايات المتحدة الاميركية، ليعلن، بعد أسابيع قليلة من ذلك، في اجتماع ليكودي بتاريخ ١٩٩٠/١/١٤، ان الهجرة المكثّفة لليهود السوفيات إلى إسرائيل تتطلب اسرائيل الكبرى وعدم التفريط بشبر واحد من الأرض، واضعاً هذه الهجرة، التي نجمت عن التغيرات في أوروبا الشرقية، بتجديد للمعجزات التي أنقذت اليهود على مرّ التاريخ، ومؤكداً انها سوف تغير اسرائيل خلال خمس سنوات «بحيث يصبح كل شيء أكبر وأقوى»، مستخفّاً بالعرب الذين يعيشون «حالة يأس وذعر»، كما قال، نتيجة «عجزهم وفشلهم وإحباطهم»[٨].

إن آثار النظرة الاسرائيلية التقليدية تجاه العرب تغري قيادات اسرائيلية عديدة على المبادرة إلى عمل عسكري يفرض حلّ شارون، أو ما يماثله، يساعد على هذا عامل تاريخي ـ نفسي لا يزال ذا أثر كبير، حيث أن التبرير الصهيوني المزمن، والسمج، لالغاء الفلسطينيين سياسياً ـ وحتى جسدياً بالمجازر والقمع ـ بالتذكير بالهولوكوست قد قاد الصهيونيين إلى عملية توحّد (identification) مع النازية واقتداء لاشعوري (displacement)، بما يريح العقل الجمعي الباطن الاسرائيلي عند اعتماد الحل النازي بالمغامرة العسكرية خياراً جاهزاً، كلما اشتد الاحتقان الداخلي في اسرائيل، أو ضُيِّق الخناق الخارجي عليها؛ ولن تعدم اسرائيل الذريعة والتبرير. وأبسط تبرير مستحدث هو الادعاء بحق الاقتداء بالغزو الاميركي لبنما.

٤ ـ ليس سراً أن الرعب، وليس القلق فقط، ينتشر في اسرائيل بكل تياراتها السياسية، سواء تلك الداعية إلى تنازل وانسحاب من الضفة الفلسطينية وغزة، أو بعضهما، في إطار تسوية تحقق سلاماً وتعايشاً مع العرب والفلسطينيين، أو تلك المهيمنة المصرّة على التمسك بكل الأرض التي